مكانة و دور الثقافة والحضارة الايرانية في التقدم والرقي العلمي

عالم و استاذ جامعي الدكتور سيد محمد باقر حجتي

١- فترة ما قبل الاسلام

ان ثقافة اية جماعة او قومية انما تتجلى عيانا عن طريـق تعيين الهدف المرجو من نظام التعليم والتربية، (اذ ان مما يستدعي الانتباه في طريقة تربية وتعليم الجيل الصاعد في ايران في عهدها القديم هو ان هذه التربية تستوجب على هؤلاء الشباب ان يخطو خطى صحيحة وان يفنوا اعمارهم في سبيل مقارعة كافة صنوف الشر والسوء.

وهذا النظام القويم في التربيـــة والتعليم لم ير في أيّ من البلدان الشـــرقية، حتى اليونان التي حظيت بنصيب كبير من الرقي، لم تعهد مثل هذا النظام التربوي، واستنادا على

هذا نرى ان فلاسفة اليونان مثل افلاطون، وجزنفون لم يستطيعوا ان يتجاهلوا هذا الموضوع وان والا يبدون آراءهم اعترافا بمصداقيته وسموّوهوه). كذلك، فاننا نرى هيرودوت المؤرخ اليوناني لا يجد مناصا من الاعتراف بهذه المكانة السامية.

كما ان ثقافة وحضارة اي جماعة او قومية، انما تحكي وتكشف شأن وجديلة وعرا قة تلك الجماعة – فالايرانيون قبل الاسلام كانوا يت مّيزون بمزايا خاصة، ولقد تصدروا بها مكانة رفيعة جليلة وزاهية من بين سائر الامم والاقوام، (اذا كان الايرانيون من الامم المتحضّرة، فالصدق ومراعاة القوانين يعدان من خصوصيات حضار تهم، ولأنهم حكموا مشرق الارض اعتمدوا لذلك نظما وقوانين في العمل بعثت الطمأنينة وا لدعة، اداروا بها بلادهم وغضوا الطرف عن تقصير غيرهم تجاهها).

هذه الاشراة تعكس صورة واضحة عن علائم الثقافة الايرانية، كما اشار اليها اثنان من العلماء الاجانب وهما (آلبرماله) و(جول ايزاك) اذ ذكر قولهما في تاريخ ايران، نعم ان هذه الثقافة التي استطاعت عبر امتداد تاريخ حياة البشر، ان تقدم ثقافة وحضارة عظيمتين ذات جمال وروعة.

١-١ استعارة الملل واقتباس الاقوام من معين الثقافة والحضارة الايرانية

على الرغم من اندثار وضياع الكثير مما خلفه الايرانيون من ثقافة وحضارة، الا انه ولحسن الحظ، ثمة ادلة تاريخية كثيرة تبرهن هذا المدعى وتدلل عليه، مما تلبي حاجتنا اليها. وعلى الرغم مما سببته هجمة الاسكندر المقدوني على ايران من احراق وتدمير العديد من مظاهر ومعالم الثقافة والمدنية الايرانية، الا ان الكثير منها بقي ماثلا وظل حيا وذلك بسبب ترجمة المؤلفات والمصادر الايرانية الى اللغات الاخرى وانتقال مضامينها وفحواها الى اليونان، ومن ثم انتشرت عن طريق اليونان وانبعثت في ثقافات وحضارات ذلك العصر واندمجت فيها. ولذا نجد ابن النديم يثبت هذه الحقيقة في كتابه، فيقول : (ان كافة الكتب العلمية التي كانت في مدينة (اصطخر) قد تم الاستنساخ عنها ب أمر من الاسكندر، وترجمتها الى اللغات الرومية والقبطية، ومن ثم تم احراق النسخ الاصلية المدونة باللغة الفارسية). وفي هذا ايضا نقرأ ل (سيريل الكود)، في الفصل المتعلق بالرياضيات اذ يقول : (ان تلك الضربة الموجعة من قبل الاسكندر المقدوني لايران كانت من القسوة بمكان حيث ادّت الى ضياع الكثير من الآثار ولم يبق منها ما من شأنه ان يبين اصول العلم الرياضي لاقوام (المـاد) والايرانيين القدماء بحيث يرسم صورة واضحة المعالم لها).

ومن جهة اخرى، (كانت صحراء ايران قبل ستين قرنا مصدرا للفكر والفن، الامر الذي حفظ للجنس البشري هويته، ومن ذلك : فن الكتابة، الزراعة، استخراج وتصنيع المعادن، العلوم الرياضية والتنجيم ومبادئ الفكر الديني والفلسفي، التي نشأت في منطقة الشرق الادنى. كما ان ايران نفسها كانت منشأ ومصدر الكثير من تلك العوامل الباعثة على نشأة الحضارات في الشرق الادنى.

وفي المقابل، فان ايران ذا تها لم تكن محرومة من ثقافة وحضارة ذلك العصر اللتين سادتا حياة الشعوب والامم الاخرى، فان الاسكندر المقدوني منذ اللحظة الاولى التي دخل فيها ايران قد بهرته عظمة التشكيلات الادارية والتنظيمات المؤسسية للدولة الهاخامنشية وادهشته روعتها. ولهذا، فان اليونانيين قد وجدوا انفسهم مضطرين الى تصدير ثقافتهم ونشرها في ايران، ونتيجة لذلك (فان السد الحائل ما بين الثفافتين الشرقية والغربية لم يعد موجودا، اذ ان كلا المدنيتين، الايرانية واليونانية، وهما كبرى مدنيات العالم القديم في ذلك العهد، قد اصبحتا متجاورتين متوائمتين، تفيد كل واحدة منهما من الاخرى وقد اطلتا بدورهما بنافذة على مدنية المشرق الآسيوي).

١-٢ تأثير الاخلاق والفن والعمارة الايرانية في المجتمعات والامم الاخرى

١-٢-١ الاخلاق

ان عمليات الفتح الايراني للبلدان الاخرى قد كانت تتم على اسس انسانية ، وتنتهي لأهداف واغراض انسانية ايضا. وان (الشعب الايراني، وعلى خلاف الآشوريين، لم يكن ليسيطر على البلاد المفتوحة ليمتلكها وحسب، بل لقد كان ينشر فيها السعادة والرفاهية. اذ كانت الدولة الايرانية تنفذ في تلك البلدان نفس نظمها الادارية المسائدة بها، وكان هذه الامم الشرقية المغلوب على امرها والتي قدمت الولاء والطاعة للايرانيين وخضعت لهم، تساس بتلك القوانين).

(والصحيح ان اليونانيين كانوا قد اقروا للايرانيين سمو اخلاقهم ومذهبهم وقوانينهم في الحياة. ولذلك نجد (هيرودوت) يؤكد على انّ الايرانيين بعيدون كل البعد عن ا لكذب وعن الابتعاد عن الحقيقة).

وفي ظل هذه الثقافة والمنهج الانسانيين، استطاعت الاقوام الفارسية ان تخطف قلوب وشعوب العالم القديم وتشدهم اليها. فالثقافة والمدنية اللتان اوجدهما الايرانيون اصبحتا اسوة وقدوة وانموذجا للمجتمعات القديمة المتحّضّرة وعلى سبيل الم ثال، حينما دخل المسلمون العرب ايران لها فاتحين، وفتحت عيو نهم على الفضاء الواسع لثقافتها ومدنيتها العريقتين (فا نهم قد واجهوا حضارة من اعظم الحضارات القديمة واعرقها، لذلك فا نهم اقتبسوا بعض مظاهرة هذه المدنية ونمط الصناعات الرائجة فيها).

١-٢-٢ الفن والعمارة

هذا، ولم يقتبس العرب والمسلمون الفنون والصناعات الفنية الايرانية فحسب، بل ا نهم ومن جهة اخرى (اخذوا عن الايرانيين فن العمارة في نمط بناء وتصميم المساجد الاسلامية، وكذلك الامر في فن بناء وعمارة المدارس الاسلامية واستراحات القوافل، حيث اقتفوا في ذلك كله فن العمارة لدى الساسانيين). بل اننا نجد هذا النفوذ والتأثير في مناحي وابعاد مختلفة في العالم القديم المتحضر، لأن (ايران كانت احدى بلدان المعمورة التي ارتبطت بالحضارات الاخرى، وكانت قد افادت منها كلما سنحت لها الفرص الاجتماعية والثقافية).

ولهذا كله، فان ا لكمال والعظمة الماثلين في الثقافة والحضارة الايرانية لم يكن له نظير في المدنيات الاخرى.

(ومن جهة تاريخ الفنون، فان التراث الايراني لديه من الاهمية والمكانة في العالم البيزنطي، بحيث يمكن ان تسأل نفسك ان لو لم يكن ثمة تأثير ونفوذ ايراني فيه في تلك الايام، فهل من المحتمل ان يكون طرز العمارة الشرقي التالي قد ارتقى الى ما هو عليه دفعة واحدة؟).

حتى (ان الاثر المعماري الايراني في الممالك الغربية قد اضحى ماثلا فيها اكثر من غيره من النفوذ الايراني في مجالات اخرى في تلك الممالك). وكذلك (فان الاثر المعماري الايراني الذي نفذ في الامبراطورية البيزنطية قد سرى بدوره فيسائر المتصرفيات للامبراطورية الشرقية).

(والميراث الفنيالايراني ايضا، كان على قدر من الاتساع والاتقان بحيث لم تكن ثمة حاجة لدى الايرانيين لاقتباس الاشكال الفنية الاجنبية). و(كانت ايران الدولة الوحيد ة من بين البلدان الشرقية التي الهمت الدول الاوروبية الذوق والحس الفني.. وان النفوذ الايراني في مجال الفنون قد اتسع على نحو ليس بذي نظير، سوى ما كان عليه الحال عند اليونان، عظمة وقدما ودواما).

١-٣ تشجيع علماء ورحالة البلدان الاخرى للقدون الى ايران

هذه الابحاث والمطالب هي نماذج من آراء محققين وباحثين اجانب وايرانيين تعكس تأثير الاخلاق والعمارة والفن الايراني القديم في النقاط المختلفة من العالم المتحضر آنذاك، لكننا نعرف ان الايرانيين في سائر الامور والشؤون الاخرى المتعلقة بالثقافة والمرتبطة بالحضارات

كانـــت لديهم مســـاهمات لا يصح اغفالهـــا في النهوض بالبشـــرية عبر الانجازات الانســـانية. وهذا انما يؤول الى سببين هما:

اولا – هـــو ان الايراني بطبعه يعشـــق المدنية والحضارة والعلوم.

ثانيا – ذلك التشجيع الذي اولاه زعماء وحكام ايران للعلم والمعرفـــة وتقديرهم واحترامهم للعلماء مما اثر بدوره في تكوين وصنع هذه الثقافة والمدنية العظيمـتين المزهوتين.)ففي الوقت الذي هدم زنـــون ازوري الامبراطوري الرومي (llsourie-zenon) اديســـا، كان الملوك الساســـانيين قد استضافوا علماء تلك البلاد في ايران، وكذلك فان جوستينين في تلك الفترة قد اقفل مدارس اثي نا والاســـكندرية، الامر الذي الجأ كافة علماء وفضلاء واســـاتذة تلك البلاد ليلوذوا بايران حيث حظوا فيها بالرعاية ذاتها التي حظي بها علماء ايران انفسهم. (وكان من نتائج اغلاق المدرسة الفلسفية في اثينا عام ٥٢٩ م، وبسبب الاعتداءاتالتي لحقت الحكماء ان لجأ سبعة من فلاسفة اليونان المدينة طيسفون الايرانية ليلقـوا الرعاية والعنايـةالخاصين).

ثم ان التقدير وال تشـــجيع الذي حظي به العلم والعلماء واتخذ موضعـــه في ايران القديمة كان قد بلـــغ فيبعض الاحيان مبلغا ان دانت للعلماء بعض المنـــافع السياسية، والى جانب الاهتمام بالعلم و العلماء كذلك فقدت السياسة بعضا مـــن قدرتها فخضعت لهـــؤلاء العلماء وصغرت امام عظمة علومهم. وعلى ســـبيل المثال، فان ثيادورس (The-odozos)، وهو طبيـــب نصراني، قد استدعاه شابور (ذو الاكتـــاف) لمعالجتـــه فدعي الى الـــبلاط الملكي ومارس الطب في جامعة (جندي شابور)، فاكتسب بذلك شهرة في المدينة كلها واشتهرت طريقته في التطبيب وملأت الآفاق، وعرف الناس كتابه (كناش ثيادورس)، مترجما للغة العربية. ولقد حظي هذا الطبيب النصراني باحترام شـــابور في اكثر من موضع، ولقد امر شابور ببناء كنيسة له، كما قد افرج عن كثير من ابنـاء وطنه استجابة لرغبته).

وهذا التشجيع والتسامح، اللذين يستمدان الهاماتهما من الروح الايرانية والثقافة الفارســـية، لا يقبل التجاهل وغض الطرف، فأثره ماثـــل للعيان من جهة اتســـاع دائرة العلم وامتـــداد رقعة الثقافة والحضارة وهذا بدون شـــك كان له اثره في اهتمام الشعب الايراني ورغبته الحثيثة في طلب العلـــوم، الامر الذي يعد على المســـتوى العالمي في ذلك الحين ظاهر الاثر بارز المعالم.

ولذلك، (فقد بلغ عمل الفلسفة والعلوم اوجاء بينا في الدور الساســـاني اذ توافدت الشعوب والاقوام الى ايران ساعية في كســـب العلم والمعرفة. فنرى مثلا افلاطون، الفيلسوف المعروف، ق د قدم الى ايران لنيل الحكمة ودرس الفلسفة فـــي الوقت الذي امـــر الامبراطور جورديان ســـنة ٢٤٢ م بتســـيير جيش لغزوها .. وان الرقي الذي نعمت فيه ايران في هذا العهد قد بلغ موضعا ان ســـرت الحضارة الايرانية ونفذت في ارجاء المعمورة وارست جذورها في الاعماق).

٤-١ الطب والرياضة

١-٤-١ الطب

يمكـــن القول ان المكانة الشـــريفة والمقام الرفيع للطبيب

فـــي المجتمعات الحالية، انما هو مدين للايرانيين الى حد بعيـــد. وبغض النظر عن بعض الاستثناءات، (فان الاطباء في كل مـــن اليونان والروم كانوا قد عاشـــوا ظروفا صعبة وغير ملائمة. اما طبقا للوثائـــق التاريخية المتعلقة بايران، فان الاطباء فيهـــا قد اعتبروا كمستـــشارين لدى الحكام الايرانييـــن. فأما الاطباء اليونانيون او البيزنطيـــون الذين كانوا يقعون في الاسر نتيجة الحروب المستمرة بين ايران واليونـــان من جهة وبين ايران والـــروم من جهة اخرى، فا نهم لم يعاملوا معاملة الاسرى، بـــل كانوا معززين مكرمين، وفـــي احيان اخرى قد وصل الحال بهم ان اضحوا من اكبر مساعدي الحاكم واقرب مستشاري الملك مما يمكن عدهم يده اليمنى. فمن بين الاطباء نذكر: بوذر جمهر (٥٣١-٥٧٨ م)، حيـــث ترجم حياتـــه الى الالمانية (نئـــودور نولدكه)، وهـــذا بدوره ينبئ عن ان الطب ينبغي له ان يتمتع بالروح الاخلاقية وهو مما يقرره قانون زردشت).

كما ان هذا الفن قد ورد ذكره في الثقافة الاســـلامية وفي بعض الروايات انه ملازم لعلم الديانة ومماثل لها.

١-٤-٢ الرياضة

مرة اخرى، فان الشؤون المختلفة والمتعددة للانسان، يعني الجوانب الماديـــة والمعنوية والروحية لـــه كان لها اهمية ومكانة ممّيزة في حضارة وثقافة ايران القديمة. وكما سلف ذكره، فان الابعاد والجوانـــب المعنوية الماثلة في كل من مفهومي الصدق والصواب، او بعبارة اخرى : الفكر الســـليم والقـــول الحكيم والعمل القويـــم، كل هذا كان محط عناية وموضع رعاية واهتمام.

وان تقوية الكيـــان ومقومات البنية انمـــا كان هدفهبعث القدرة في الجوانب والجهات المعنويـــة، وبالنتيجة البلوغ الى الاهداف الانسانية الجادة والبناءة، وهذا ايضا كان من مواضع اهتمام ثقافة ايران وحضارتها.

(والايرانيون القدماء كانوا دائمـــا يتصورون ان الرياضة انما هي وسيلة لامتلاك القدرة وكسب القـــوة، وهذا من شأنه ان يكون عونـــا للضعفاء والمحتاجين، والرياضة ليســـت غاية للتعالي والخصام).

والرياضة التـــي كان الايرانيون القدماء ســـباقين لها هي عبارة عن الصيد وركوب الخيل وغيرها. وقد كان هذا النوع من الرياضـــة والتمارين المؤدية له يتجه الى اهداف جدية حقيقة، وفي هذا يكتب البروفســـور جزنفون : (ان اطفال الفرس منذ صباهم كانوا يتعلمون شد القوس ورمي السهم). ونراهم كذلك يكتبـــون : (ان الاطفال كانوا يدربون على فن ركوب الخيل وخاصة لغايـــات الصيد و الرماية وامثال ذلـــك، وكل هذا يتجه الى التدريب على فنون القتال. وفي نهاية المطاف، فان هذه التربية تعد منهم فرســـانا ماهرين وحاذقيـــن وقادرين على انجاز المهام الصعبة ســـواء اكان ذلك في اثناء الحرب ام عند الصيد).

واما في السّـــنة والثقافة الاســـلامية، فان لهذين النوعين من الرياضـــة والتمرس بهما ومزاولتهما لأجل الوصول بهما الى الاهداف الانســـانية القويمة، له مـــن المكانة والحظوة الشيء الكثير. وقد ورد ذكرهما، اي ركوب الخيـــل والرماية ســـواء بالســـهمام بالرمح، في كتب الفقه الاسلامي، وذلك بادراجهما تحت عنوان فصل او باب (السبق والرماية).

مرة اخرى، (فان الشـــجاعة في ايـــران القديمة كانت تعد مذهبـــا ثقافيا ومعنويـــا، فهي بالاضافة الـــى كونها تربية وتقوية للجسم والبدن، فهي ذات اهداف عالية وتستند الى المبادئ العلمية والفلســـفية، والتي بدورها تتجه بالانسان نحو الكمال المعرفي وتزرع فيه القيم الاخ لاقية وســـجية المروءة وكذا محبة الوطن والاخذ بيد الفقراء).

وبقول البروفســـور الدكتور ادولف روب: (ان الشـــيء الذي يستدعي الملاحظة اكثر من غيره في ايران، ممامن شأنه ان يجسد الروح المعنوية عند الايرانيين في حياتهم الاجتماعية هو نظم التربيـــة وطريقتها نعم كان هذا النظامفي التربية والتعليم منشأ الاحساســـات الحميدة لدى الشباب، حيث عرفوه منذ طفولتهم، وهو بدوره يرشـــدهم ويرتقي بهم في كل وجـــوه وطرائق الحياة الصحيحـــة والقويمة وفي كافة اعمالهم التي يتلبسون بها. وهو منذ بدء النشأة ايضا يعدهم من الوجهتين الروحية المعنوية والجسدية لتقبل المسؤولية وانجاز كافـــة الاعمال، ويربي مجتمعًا صالحًا وســـالمًا مما عسى افراده ان يقومـــوا بأدا ء التكاليف والوظائف المناطة بهم وان يخدموا في المـــستقبل امتهم وبلدهم).

١-٥ الخط والمكتبات والطب والمستـشفيات والمدارس

١-٥-١ الخط

عـــرف الايرانيون منذ الزمان ا لغابر الخـــط والكتابة اذ كانا

مألوفيـــن لديهم (ومنذ القدم كانت لديهـــم دراية ومعرفة بالخط المســـماري، ومن ثم راج هذا الخط واشتهر بوصفه خط ما بين النهرين عن طريق شـــعوب الكاســـيب والخور والســـومريين والآريين، ومن بعدهم اخذ عنهم الآشوريون هـــذا النمط في الكتابة، ومن بعد ذلك انتقـــل الى مصر فأدخلت تحسينات عليه وعرف بينهم).

نســـتخلص مـــن هـــذه البحـــث : ان الايرانييـــن هـــم الذيـــن ابتكروا الخط، وســـاهموا في تعريف الامم والاقوام الاخرى به، (ومن الامور الشـــاهدة علـــى ان الايرانيين هم الذين اكتشفوا الخط، ذلك التنوع فـــي الخطـــوط الايرانيـــة اثنـاء العهـــد الغابـــر)، على الرغم من ان بعض المستشرقين حاولوا قلب الحقائق، وخاصة فيمـــا يتعلق بابتكار الخط المسماري، حيث نسبوه لآخرين).

ولهذا الســـبب، فان العلوم في ايـــران القديمـــة قد اكتســـبت تنوعًا وتقدمًا واتساعًا وسبقًا بالمقارنة بالرصيد العلمي لدى الامم الاخرى، (ولقـــد تدرجت العلوم في طريقها الى الرقي فقطعت مراحل مهمة، وكان لـــديها مراكز ومؤسسات خاصة، مثل المركز الزردشـــتي، والمركز اليســـوعي والمركز المانـــوي، وغيرها .. حيث كانت علـــوم المنطق والتنجيم والرياضيـــات والطبيعيات والفلســـفة وعلـــم الكلام محل اهتمام ومادة درس لدى هذه المراكز، ولقد قام علماء هذه المراكز ذا تها بترجمة الآثار والمؤلفات من اللغتين البهلوية والسريانية الى العربية اولا، وذلك حينما تمكن العرب من التغلب على الدولة الساسانية، بل ا نهم الفوا بعدئذ باللغة العربية ذاتها. ولقد اكتسبت بغداد اثـر انتقال هؤلاء العلماء اليها شهرة حاضرة العلم والمعرفة).

١-٥-٢ المكتبة

وان وجود المكتبـــات العظيمة في ايران القديمة يمكن ان يعد بمثابة شـــهادة ناطقة بوجود ثقافة وحضارة واســـعة ومتقدمة في هذه المنطقة، حيث اثرت بدورها في ســـائر نقـــاط واقاليم العالم المتحضر فـــي ذلك الحين، وفي هذا يقـــول القفطي : (تقدم الايرانيـــون في العلوم بنحو سريع).

٦-١ عودة الى مبحث التقدم فـــي علـــوم الطـــب عند الايرانيين

ان الطـــب في ايران القديمـــة قـــد بلغ مرحلة من التكامل والرقي مما شجع الطلاب والباحثين في ســـائر انحاء العالم الى القدوم اليهـــا، ذلـــك ان الطب فـــي ايران قد شق طريقه في تكامل ورقـــي ملفـــت للأنظار. والقفطي نفســـه يكتب عن تلـــك الاهمية التـــي حظي بها الطب وعلومـــه في البـــلاد الايرانية، فيقول : (لقد افاد الايرانيون من طرائق حديثة في معالجة المرضى واسســـوا القوانين الخاصة بالمداواة، مما جعل اساليبهم في العلاج انجع من معالجات اليونـان والهنـــود واشتهر ذلك فيهم). و(ان كثيرا من جاليات الامم المختلفة الذين كانـــوا يتلقون العلوم والمعارف في جامعة جندي شابور في قسم الطب، كانوا يعودون الى بلادهم بعد الحصول على لقـــب اطباء، ليقوموا بتدريس هذه المعارف والعلوم الطبية ويزاولـــون مهنة التداوي وعلاج المرضى، و بهذا الطريق انتشر الطب في ايران وانتقلـــت علومه الى ســـائر بقاع العالم) ، وبذلك ايضًا اســـتفادة امم وشـــعوب الدنيا من معارف وخبرات الاطبـــاء الايرانيين المتخصصة والمتطورة.

هذا، وان الطب اليوناني بروعته وبهائه، كما سبقت الاشارة اليه، قد استفاد من العلوم والمعارف الطبية الايرانية عن طريق ترجمة مصادرها، بالاضافة الى ان شابور الثاني قد استقدم عددًا من الاطباء اليونانيين لمزاولة مهنة التدريس في ايران، ومن هذه الجهة، وعن طريق التبادل في العلاقات، فقد اشتهر كلا من الطب اليوناني والطب الايراني وامتزجا ليصنعا نمطًا جديدًا ويتخذا صورة اخرى ذات روعة و بهاء باهر.

وهكذا، فان الابحاث المتقدمة هذه تلفت النظر الى سر رقي وتكامل وتطور الطب وعلومه في ايران. كما ان الاطباء الايرانيين كانوا قد استفادوا من الطرائق والاساليب العلمية المتيسرة لدى الشعوب الاخرى ومزجوها بخبراتهم واكتشافاتهم وتجاربهم الخا صة في هذا ا لمجال، لذا، وكما سبقت الاشارة اليه اكثر من مرة، فان القفطي يذكر ذلك فيقول: (ان طرائق المداواة والمعالجات المعهودة في ايران قد عرفت بأنها ذات المقام الارفع والاسمى من بين طرائق العلاج لدى اليونان والهنود).

١-٦-١ المستشفيات

(ان شهرة مستشفى وجامعة العلوم الطبية (جندي شابور) قد شجعت الطلاب في المناطق ا لمجاورة على ا لمجيئ الى ايران). و(لقد بلغت العلوم الطبية مبلغها من الشهرة مما كان بدوره باعثا للطلاب من مختلف الاقاليم ومريدي العلوم والمعرفة على المجيئ والسفر الى ايران كما هو عليه الامر الآن اذ ان اوروبا وامريكا هما محط انظار دراسي الطب في العصر الحاضر).

هذا وان مبنى مستشفى وجامعة جندي شابور والذي تم انجاز بنائه ليفتتحه شابور الاول كي يتلبس بأعماله ويزاول مهامه، قد شرع في انشائه من قبله اردشير. ولقد اعلن شابور الاول بهذه المناسبة، افتتاح المبنى المذكور، قائلا: (ان سيوفنا فتحت البلاد واجتازت الحدود، واما علومنا وثقافتنا فستستقر في القلوب والعقول لتستنير بنورنا).

(ان اهم سمة وميزة في ذلك كله انها كانت دارالعلم والمعرفة على المستوى العالمي، في الوقت الذي كانت تسود العلاقات بين الامم التعصبات الدينية والقومية والعنصرية، لكن ومع هذا، فقد فتحت الجامعة ابوا بها للعلماء والطلاب مع غض النظر عن ميولهم الدينية او المذهبية او العنصرية او القومية).

وقد ظهر من بين هذه المدارس والمؤسسات العلمية الايرانية عدد من العلماء العظام من امثال : (جورجيس بن بختيشوع، وا بنه بختيشوع، ابو يزيد جهاربخت، وابنه عيسى، ماسويه، وابنه يوحنا، وشابور بن سهل، ..)، حيث تعد مؤلفاتهم وكتابا تهم الاساس في علم الطب في ظل الثقافة الاسلامية والعربية.

على كل حال وعلى اي نحو، فاذا القينا نظرة على تاريخ العلوم العقلية والطبية في القرون الاولى الاسلامية فاننا سنلحظ بصمات جامعة جندي شابور فيها).

حتى ان كلمة (بيمارستان) هي ذات بروز واضح في التاريخ والثقافة العربيتين، حيث ان هذه الكلمة الفارسية لم تزل تُستعمل في التاريخ الطب العربي والثقافة العربية. وكلمة (بيمارستان) او (مارستان) بهذا اللفظ الفارسي، قد اقترنت بتاريخ العلوم عند العرب، وذلك ماثل في كتبهم التي ارخوا لأنفسهم بها، وفي الكتب التي ارخت لهم من قبل غيرهم كذلك. وهذا التعبير عينه اطلق على تلك المؤسسات التي انشأوها لهذا الغرض في كافة الولايات العربية، ولهذا السبب نراهم كتبوا مؤرخين لاحداث سنة ٥٧٧ هجرية قمرية : (امر السلطان بفتح مارستان للمرضى والضعفاء). ووجدناهم يكتبون : (ان احمد بن طولون جعل في بيمارستانه بمصر الى جانب خزانة كتب كانت في احدى مجالس البيمارستان).

ومن عجائب ذلك، ان هذه الكلمة (بيمارستان) قد حفظت في المصادر العربية حتى عصرنا هذ ا وقد اعتدنا على هذه اللفظة كلما طالعنا وقرأنا في تاريخ الثقافة الاسلامية، ومن ثم نجدهم يخبرون عن البيمارستان ب(دار الشفاء) او (مريض خانه).

وكذلك الاصطلاحات المتعلقة بأسماء الادوية اوحتى الصيدليات، نجدها عينها وبلغتها الفارسية قد دونت في الكتب الطبية العربية، وهي لا تزال الى الآن متداولة ومستعملة، فمثلا: نجد العرب قديما قد اطلقوا على (داروخانه = الصيدلية) اسم (شراب خانه). (وبسبب نفوذ اللغة الفارسية في اللغة العربية واستقرار الفاظها فيها في كافة الموارد والمسائل .. نجد كثيرًا من الالفاظ الفارسية قد استعملت في الكلام العربي في كافة المواضيع العلمية والادبية والمسائل الاجتماعية والادارية وغيرها

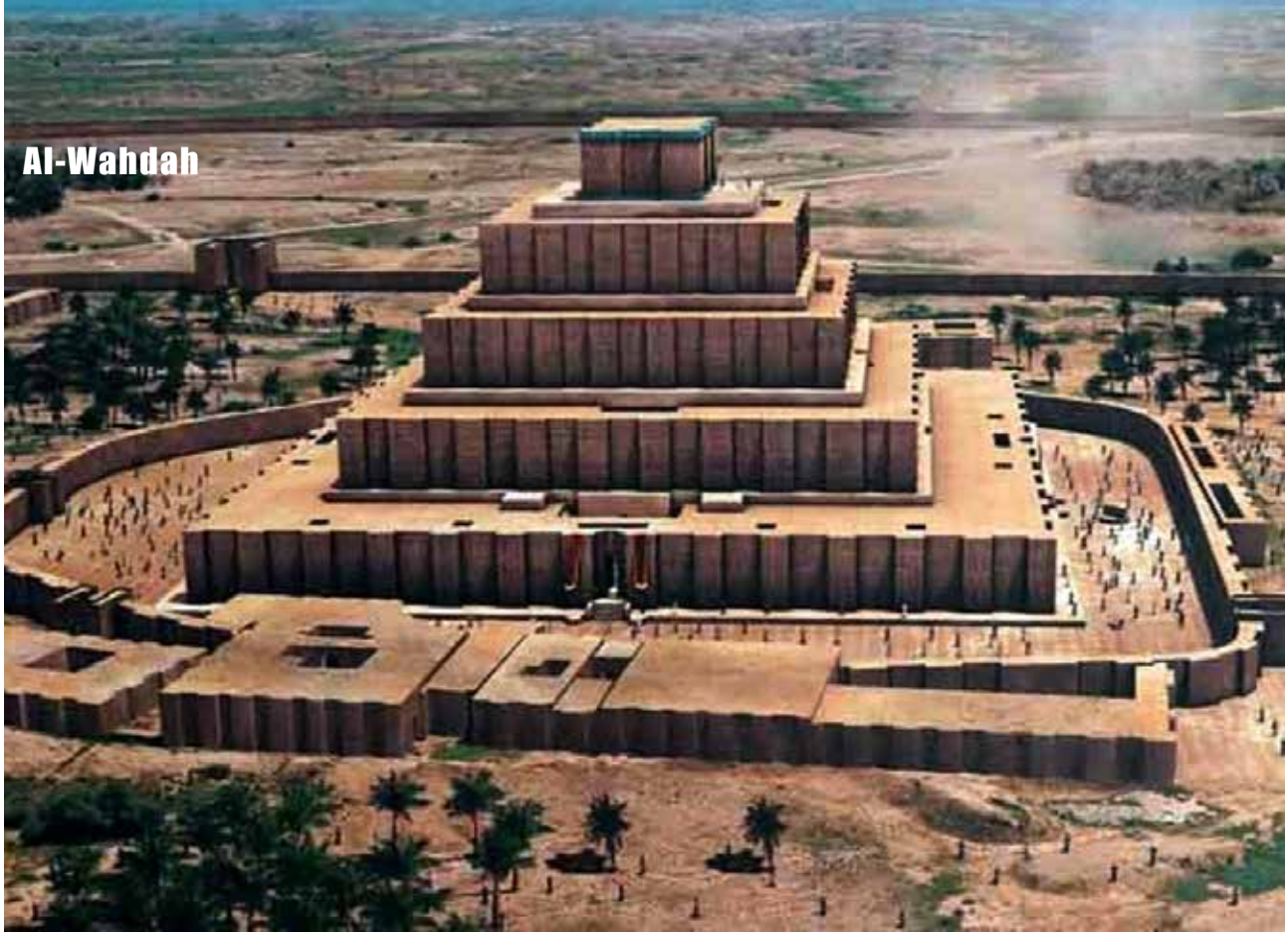

جغازنبيل، معبد عيلامي في جنوب ايران

من المواضيع والمسائل).

* لقـد قدمت ايـران الكثير من المسـاهمات والخدمات للبشرية في كافة حقول العلم والمعرفة، اذ (يظهر من قراءتنا لما كتبه المؤرخون حول مسـألة ترجمـة المؤلفات والآثار العلمية الايرانية بأمر من الاسـكندر المقدوني وحملها الى الاسـكندرية، ان عهد الهخامنشيين قد شهد ارتقاءا ورواجا للأدب الفارسي ومباحثه، وانـه كان العديد من المكتبات الكبيرة في ايران آنذاك).

(وان المراصد والزيجات التي عرفت في العهد الساساني قد بلغت رقيا عظيما مما هيأ الارضية المناسـبة للعلماء الايرانيين غير المسـلمين والعرب، كما ان هذه الزيجات والمراصد من مثل زيج شـهريار ومراصد الساسانيين، قد حقق للايرانيين في العهد الاسلامي تقدما ورقيا ممتازين في علـوم الهيئـة والتنجـيم والرياضيات ووسـائلها المتعلقة بها).

وفـي النهاية، يجـب القول ان الايرانييـن القدماء قد قدموا خدمات عديدة في مختلف العلوم، مثل تأسيس المدارس وتأليف الكتب المتنوعة، الا ان القسـم الاعظم من هذه الآثار قد فقد، لكن في نفس الوقت، فان بقايا هـذه الثقافة والمدنية قد سـاهم فـي تكامل وارتقاء الثقافـة الاسـلامية وبالتالي ارتقاء الثقافـة والحضارة العالمية للبشـرية جمعاء، وهذا الارتقاء واضح المعالم ومحكـم ثابت ورصيـن. ولكن يجب ان لا ننسـى ان التعاليم والثقافة الاسـلامية قد قدمتا للثقافة والحضارة الايرانية خدمات جليلـة كما قدمت الثانية هي الاخرى للأولى، وبهـذه الخدمة التي قدمتها الثقافة الاسلامية وجـدنا ا ن دائرة الثقافة الايرانية قد اتسـعت، ومن خلال هذا الطريق، التبادل المتقابل، اسـتطاعت الثقافة الاسـلامية ان تظلل العالم بدائرتها الواسعة، وان تحمل هذه الثقافـة النور ومشـعل الهداية لتضيـئ بدورها العالم كله، ذلك ان ليس ثمـة ثقافة تعلو على الثقافة الاسـلامية حتى الثق افة الايرانية ذا تها، على مستوى العالم بأسـره، منذ ان خلق الله العالم والانسان، وعلى مر الزمان، اذ هي على هذا، ثقافة منقطعة النظير. وان تفصيـل القول في هذا الموضوع لا تفيه مقالة مسـتقلة حقّهُ فحسـب، بل يحتاج الى موسوعة كبيرة جِّدا. ونحن في هذه المقالة انما نسلط الضوء على مساهمة ايـران في تقدم و نهضة قافلة الثقافة والحضارة البشـرية، ومن خلال المرور السريع لمفردات الموضوع بشقيه ما قبـل الاسلام وما بعده.

وفيهـا يتعلق بفترة ما قبل الاسـلام، علـى نحو تقريبي، اشرنا بدراسة عاجلة الى مشاركة ومساهمة الايـرانيين بثقافتهـم ومدنيتهم في العهد الايـراني القديم، حيث استعرضنا الفقرات تباعا.